فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "يُحِبهم ويُحِبونه"

إن الله يحب التوابين

لفضيلة الشيخ: مسعد أنور

رابط المادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-29341.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأزواجه وأصحابه وأتباعه ومَن والاه. أما بعد..

إخوتي في الله، أخواتي في الله إني أحبكم في الله، والله أسأل أن يجمعنا بهذا الحب في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، آمين.

ما زال الحديث بنا موصولاً مع هؤلاء الذين يُحبهم الله ويُحبونه، اللهم اجعلنا منهم، اللهم اجعلنا معهم، وهذا هو اللقاء الخامس بعد العشرة الأولى، الحلقة الخامسة عشر، وعنوانها..

إن الله يحب التوابين

فاللهم ربنا اجعلنا من التوابين، الأوابين، المنيبين، المخبتين برحمتك يا رحمن يا رحيم.

يقول الله عز وجل "إن الله يُحِب التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ المُتَطَهِّرِنَ" البقرة:٢٢٢

فمن صفات الذين يُحبهم الله ويُحبونه أنهم توابون، والتوبة واجبة على كل مسلم حتى على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وما أجملها وما أحلاها، إن التوبة يفرح بها الخالق قبل المخلوق لأن الله عز وجل تواب يحب أن يتوب على المخطئين من عباده، يحب أن يغفر للعاصين من عباده، يحب أن يعفو عن المتجاوزين من عباده.

فاللهم اغفر لنا وارحمنا واعفُ عنا يا كريم يا عفوّ يا مَن تحب العفو.

قال الله عز وجل " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ " الزمر:٥٣

الله أكبر.. ما أحلاها من آية، رب العالمين الغني ينادي على مَن؟ على الذين أسرفوا على أنفسهم في الذنوب تجاوزوا الحدود وتلطَّخوا بالكبائر، وتمرَّغوا فيها فضلاً عن الصغائر، ومع ذلك يقول يا عبادى، أي رب رحيم جل جلاله؟ "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا" الزمر:٥٣

يعنى لمن تاب منها ورجع إلى ربه ومولاه..

بل بيَّن سبحانه أنه يغفر كل الذنوب إلا الشرك لمن مات عليه.

قال تعالى "إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء" النساء:٤٨

ما معنى هذا؟ معنى هذا أن المسلم إذا مات على الإسلام وله ذنوب في حجم الكرة الأرضية ليس فيها الشرك، مات على التوحيد وله ذنوب في حجم الكرة الأرضية لم يتب منها! هذا من الممكن أن يغفر له الله في الآخرة؟ يُتجاوز عنه في الآخرة؟ هكذا نعم.. وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

المسلم الذي يموت وقد ارتكب آثام وموبقات وكبائر لا نحكم له بجنة أو نار، بل نقول هو تحت مشيئة الله إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له، ونحن نختلف في هذا عن الخوارج الذين يكفرون الناس بالذنوب، وعن المعتزلة الذين قالوا: "إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين بين الكفر والإيمان، وفي الآخرة يخلد في النار"، كلام الخوارج باطل، وكلام المعتزلة باطل، مادام قد مات على الإسلام فهو تحت مشيئة الله إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له.

ويقول رب العالمين "وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا" أيها المسلمون "وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" النور: ٣١

التوبة واجبة حتى على الرسول صلى الله عليه وسلم، واجبة على كل مسلم والدليل هذه الآية "وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" ربط الله الفلَاح والنجاح والسعادة والسرور والحضور بالتوبة، بالإنابة، بالاستغفار بالإخبات، بالعودة إلى الله عز وجل.

يا شيخ لي ذنوب في حجم الكرة الأرضية زنيت وسرقت وأكلت الربا وتركت الصلاة سنين وفعلت.. وفعلت.. وفعلت.. هل إذا تبت يتوب الله عليَّ؟ الجواب نعم..

بل أيضًا لو اطلع إلى قلبك ووجد فيه الصدق لبدَّل لك كل السيئات إلى حسنات.

اسمع.. اسمع كلام الرحيم الكريم جل جلاله يقول ملك الملوك سبحانه "وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا" الذنوب كثيرة "يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" الفرقان٦٨: ٧٠

التوبة.. يفرح بها رب العالمين

الله الغني يفرح، الله يفرح بتوبة التائب؟ الجواب: نعم، روى مسلم في صحيحه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة".

ربنا بيفرح بتوبتك يا مسلم أكثر من فرحة إنسان خرج في السفر، وانطلق في الصحراء ثم ظل منه بعيره وعليه الزاد والماء فآيس وأدرك بالبوار والهلاك، ثم جاءه البعير.. أي فرحة؟، فرحة إنسان أيقن بالهلاك ثم جاءه طوق النجاه،

الله يفرح بتوبتك أكثر من فرحة هذا الذي نجا بعد موت محقق، سبحان الله، بل رب العالمين يبسط يديه بالليل والنهار ويدعونا للتوبة حتى يتوب علينا.

روى مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وعن جميع الصحابة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل" إلى متى يارب؟ "حتى تطلع الشمس من مغربها".

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر"

حسنه الألباني إذا وصلت إلى الحلقوم، إذا خرجت الشمس من مغربها، أُغلق باب الرحمة في وجه هذا التائب.

إذن على العاقل أن يسارع وأن يبادر بالتوبة.

والقرآن يصيح فينا "سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ" آل عمران:١٣٣

"فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ" البقرة:١٤٨

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ" الجمعة:٩

تحرَّك بادِر سابِق سارِع حتى تفوز بتوبة ومغفرة.

النبي محمد نفسه كان يتوب.. نعم ،كان يستغفر.. تمام، بل إن الله عز وجل أمره أن يسدل ستار على حياته بتوبة واستغفار، "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ" يعني يا محمد "وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا" ما هو المطلوب مني يارب؟ "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا" النصر ١:٣

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "والله أني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"، وفي رواية "مائة مرة".

روى مسلم عن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى الله عز وجل في اليوم مائة مرة" .

ماهي التوبة؟

التوبة لغةً تعني الرجوع، والتائب هو العبد الذي رجع عن المعصية إلى الطاعة، رجع عن ما يكره الله إلى ما يحبه الله، فمن رجع من المعصية إلى الطاعة فهو تائب، ومَن رجع من المعصية إلى الطاعة حياءً من الله فهو المنيب، ومَن رجع من المعصية إلى الطاعة تعظيمًا لله فهو الأواب.

إذن مَن رجع من المعصية خوفًا من الله فهو التائب، مَن رجع من المعصية إلى الطاعة حياءً من الله فهو المنيب، مَن رجع من المعصية إلى الطاعة تعظيمًا لجلال الله فهو الأواب، والتوبة واجبة على كل العباد.

"وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا" كلكم "أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" النور: ٣١

التوبة واجبة على كل العباد ذلك لأن كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

مَن الذي يملك التوبة؟

رب العالمين وحده، قال تعالى "إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ" النساء:١٧ "إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ"، أسلوب حصر وقصر لا يملك التوبة لكم إلا الله، هو الذي يملك التوبة لأنه هو الذي يملك المغفرة ويملك الثواب ويملك العقاب، لا كما قال أهل الضلال قديمًا، باعوا الجنة في العصور الوسطى، باعوا صكوك الغفران، باعوا الجنة.

يجلس أحدهم على كرسي الاعتراف ويقول زنيت، يقول له كبيرهم اذهب قد غفرت لك، وكبيرهم إذا زنى مَن الذي يغفر له؟! يا ناس لا يقبل التوبة إلا الله، لا يملك التوبة إلا الله لأنه هو الذي يملك الثواب والعقاب.

بل أن النبي محمد بنفسه يستغفر لنفسه، أُمر أن يستغفر لنفسه وأن يستغفر لغيره، بل لعلك تعجب إذا علمت أن النبي رد الله استغفاره لبعض الناس أحيانًا، لما مات أبو طالب واستغفر له رسول الله عجب الله عليه ومنعه من ذلك، وما قبل استغفاره لأبي طالب.

قال رب العالمين "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى" التوبة:١١٣

وقال تعالى له في شأن المنافقين "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ" التوبة: ٨٠

ما هي شروط التوبة؟

الشرط الأول: الإخلاص

لا تنقطع عن المعصية إلا طاعة لله، لا تقصد بترك المعصية مراءات الناس أو المحافظة على الصحة، شخص يشرب سجائر تقول له الدخان حرام، يقول لك ليس لك دخل، أصابه مرض، قال له الطبيب إذا لم تقلع عن التدخين سوف تموت، فأقْلَع عن التدخين، هل أقلع لله؟ لا والله، بل أقلع من أجل الصحة.

لابد أن تخلص في التوبة.

قال تعالى "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء" البينة:٥

شخص يصوم أقول له لماذا تصوم؟ يقول لأني أعمل رجيم، ليس له ثواب، أنا ما أصوم إلا طاعة لله عز وجل، إذن الشرط الأول الإخلاص.

الشرط الثاني: الندم

يجب أن تتحسَّر على ما فرَّطت في جنب الله وهذا سيورثك انكسارًا، ويتحول الندم إلى صوت على ظهرك كلما أردت أن ترجع للمعصية دفعك إلى العمل الصالح، لابد من الندم.

شخص يفتخر بالمعاصي يقول لك أنا تبت لكن زمان كنت ولد، –كنت مقطِّع السمكة وديلها –كنت أعرف نساء بعدد شعر رأسي أنا عملت كذا..، هل هذا تائب؟! هذا يجاهر.

قال رسول الله "كل أمتي معافى إلا المجاهرين" صحيح البخاري

هؤلاء الذين يجاهرون، إذن أين الندم، تحسَّر اندم لأنك عصيت ربك يومًا.

الشرط الثالث: أن تقلع عن الذنب

إذا كان ذنبك ترك الواجبات عد إلى فعل الواجب، إذا كان ذنبك فعل الحرام اقلع عنه، إذا كان فعلك ترك السنن اقلع واجتهد في فعل السنة، أما أن تقيم على الذنب وأنت تزعم التوبة فأنت تستهزأ بربك.

شخص في يده سيجارة أقول له تب إلى الله فيضعها في فمه ويأخذ نفسين ويقول تب علينا يارب، هذا يستهزأ بالله.

المقيم على الذنب ويزعم التوبة كالمستهزأ برب العالمين.

إذن لا بد من إخلاص وندم وإقلاع عن الذنب وعزم على ألا تعود إلى الذنب، إن كنت تنوي أن تعود إلى الذنب متى تسنح لك الفرصة.. فأنت لم تتب.

شخص كان يتعاطى مخدرات، فلوسه كلها راحت فترك المخدرات وينتظر أي فرصة يأتيه فيها المال ويشرب المخدرات، هذا لم يتب، لابد من العزم على عدم الرجوع.

شخص كبر سنه ويقول لك: ليت الشباب يعود يومًا لأخبره بما فعل المشيب –يا سلام لو الصحة ترجع لي هأعمل عمايل –، هذا ما تاب، لابد أن تعزم ألا تعود، هذا شرط مهم جدًا، لابد أن تكون التوبة في زمن قبول التوبة، لأن هناك زمن لا تُقبل فيه التوبة..

قال تعالى "وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ" النساء:١٨

الآن تتوب وأنت تحتضر؟ التوبة غير مقبولة.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه".

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر" حسنه الألباني

فرعون تاب وهو يموت، هل قبل الله منه؟ أبدًا.

قال تعالى "حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآْنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" يونس٩٠:٩١

الآن يا فاسد؟ الآن يا فاجر؟ الآن تتوب يا فرعون وأنت تغرق وتلفظ الأنفاس الأخيرة؟!.

التوبة لا تُقبل عند الغرغرة، التوبة لا تقبل عند خروج الشمس من مغربها، والمصيبة أن الساعة، أن القيامة تأتي بغتة، والمصيبة أن الموت يأتي بغتة.

على العاقل إذن أن يسارع إلى المغفرة، أن يبادر ألا يسوِّف.

هذه شروط التوبة إذا تعلقت بذنب في حق الله، أما إذا تعلقت بحقوق العباد نضيف شرطًا أخر ألا وهو..

الشرط الرابع: رد المظالم

سرقت مالاً.. رده، وقعت في غيبة.. استغفر لمن اغتبته، بلغته الغيبة.. استسمحه.

هذه شروط التوبة، وهذه بعض الآيات والأحاديث في شأن التوبة، يا ناس الله يحب التوابين، النبي محمد كان يتوب كل يوم مائة مرة.

توبوا إلى الله، وأكثروا من الاستغفار، وأكثروا من التوبة والإخبات والإنابة حتى يحبكم رب العالمين.
اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عملٍ يقربنا من حبك.
أحبكم في الله، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36